سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ (٧)

كيف تطيل عمرك؟

لفضيلة الشيخ الدكتور
عبد السلام بن محمد الشويعر

الشيخ لم يراجع التفريغ



كيف تطيل عمرك؟

00966558883286

YouTube/alshuwayer9

alshuwayer9

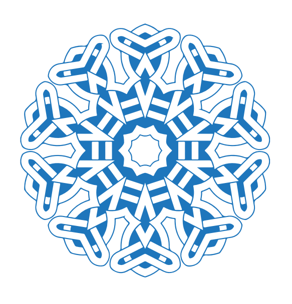
للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛ يرجى المراسلة على البريد التالي:

tafreeghalshuwayer@gmail.com

سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ

(٧)

كيف تطيل عمرك؟



لفضيلة الشيخ الدكتور

عبد السلام بن محمد الشويعر

النسخة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين وصلَّى اللهُ وسلم وبارك على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثُمَّ أمَّا بعدُ:

-أيها الإخوة- الأكارم سلام الله عليكم ورحمته وبركاته. -أيها الإخوة- إنَّ حديثنا اليوم حديثٌ عمَّا يطيل العمر، ويمده وينسأ فيه ويزيده، إنَّ هذه القضية أشغلت النَّاس جميعًا منذ بدء الخليقة إلى الآن، فما حدث من آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وموسى وغيرهم من أنبياء الله عَزَّوَجَلَّ إلَّا دليلٌ على ذلك، فآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما أسكنه الله هو وزوجه الجنَّة واستخلفهم فيها إنَّما أغواه الشيطان بدعوى أن يدله على الخلد وطول البقاء، قال: هل أدلك على الخلد وملكٍ لا يبلى؟، فظنَّ الشيطان أنَّه بهذا المدخل يدخل على آدم لعلمه أنَّ المرء محبٌ لطول البقاء [..].

نبي الله فقال: كم عمره؟، فقيل له إنَّ عمره كذا وكذا، فَتَقَالَّ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ عمر داود عَلَيْهِ السَّلَامُ وعلى نبيِّنا -أفضل الصلاة وأتم التسليم-، فوهب له آدم من عمره أربعين سنةً، فلمَّا جاء ملك الموت لآدم قال له آدم إنَّه قد بقي من عمري أربعين سنة، قال: فتلك التي وهبتها لداود، جاء أن آدم نسي فنسيت ذريته بعد ذلك إن صحَّ الأثر عن المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ. بل إنَّ موسى بن عمران نبي الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما حضره ملك الموت كأنَّه رغب بعدم الوفاة، فأوحى الله عَزَّوَجَلَّ إليه يا موسى ضع يدك على جلد

ثورٍ فلك بكل شعرةٍ تقع يدك عليها سنة، قال: ثمَّ ماذا بعد ذلك؟ قال: ثمَّ بعد ذلك أتوفاك، قال: فالآن إذاً.

فالنفس بطبعها راغبةٌ في البقاء، وطول الأمد، والمكث في الدنيا قدر المستطاع، وقد جاء في الحديث الصحيح، الثابت في صحيح البُخَارِيّ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: وَمَا تَرَدَّدْتُ فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ كَتَرَدُّدِي فِي قَبْضِ نَفْسِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَكْرَهُ إِسَاءَتَه**». فبيَّن النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ المؤمن يكره الموت، فرغبة البقاء في هذه الدنيا ومد العمر فيها ليس منقصةً في المرء، وإنَّما هو جبلةٌ جعلها الله عَزَّوَجَلَّ في الآدميين جميعًا، وما آدم وموسى وداود ومحمدٌ وغيرهم من أنبيائه الله عَزَّوَجَلَّ إلَّا كذلك، ولذلك فإنَّ المرء كلما طال عمره ووافق طول عمره حسن عملٍ فإنَّها علامةٌ على خيريةٍ أرادها الله عَزَّوَجَلَّ له.

ثبت في السنن بإسنادٍ صحيح من حديث عبد الله بن بُسرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**خَيْرُكُمْ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ**».

وفي المسند من حديث عبيد بن خالد الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُكِي له حال رجلين توفّيا، فقيل إنَّ أحدهما لحق [..] أنَّ الأوَّل قد مات قبل الثاني بسنة، فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**فَأَيْنَ صَلَاتَهُ وَصِيَامَهُ وَدُعَاؤُه فِي هَذِهِ السَّنَةِ إنْ بَيْنَهُمَا فِي الْجَنَّةِ لَبَونًا كَبِيرًا**». فكلَّما طال عمر المرء بشرط العمل الصالح كلَّما كان ذلك علامةً على خيريةٍ في ذلك الرجل، وصلاحٍ فيه وكون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أراد به الإحسان والسداد.

وقبل أن أبدأ بإجابة التساؤل الذي بدأنا به كيف يطيل المرء عمره؟ ويزيد فيه وينسأ

فيه؟ فنقول: هل يمكن أن يطيل المرء عمره؟ **نقول**: نعم. فإنَّ معتقد أهل السـنة والجماعة أنَّ المرء بإمكانه أن يطيل عمره، فيكون عمره خمسـين مثلاً، فيفعل أفعالاً معينةً فيقدر الله عَزَّوَجَلَّ له عمراً بعد ذلك أطول يصـل إلى السـتين أكثر أو أقل، وهذا الأمر حكاه عن أهل السـنة غير واحدٍ من أهل العلم، بل قد صـحَّ أنَّ العمر يطيل عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وابن مسعودٍ وغيرهم من الصحابة -رضوان الله عليهم-. **وقال السيوطي**: «إنَّ الأحاديث قد تواترت في الدلالة أنَّ العمر يطول وينقص بحسـب أعمالٍ معينةٍ يعملها المرء».

ويقول **الشَّـيخ تقي الدين بن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى: «إنَّ عمر الآدمي نوعان: عمرٌ مطلقٌ وعمرٌ مقيـد، فـأمَّـا المطلق فهو الـذي يعلمـه الله عَزَّوَجَلَّ، لا يتغير ولا يتبـدل في علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأمَّا المقيد فإنَّه يتغير، بحسب ما يكون مكتوباً في اللوح الموجود في السماء الدنيا أو بحسـب ما أخبر به الملائكة» ومعنى كونه مقيداً **أي**: أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يوحي للملائكة الذين يتصـرفون في شـأن البشـر وقبض أرواحهم، ويكتب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في اللوح الموجود في السـماء، في سـماء الدنيا وتنقل عنه الملائكة حوادث اليوم والليلة، يكتب فيه أنَّ عمر فلانٍ مثلاً خمسـين سـنة، فإذا فعل كذا وكذا من الطاعات فإنَّ عمره يزيد إلى السـتين أو السـبعين أو نحو ذلك، وهذا معنى قوله: العمر المقيد **أي**: مقيدٌ إن فعل كذا طال عمره وإن لم يفعل كذا بقي عمره على ما هو عليه.

وقد دلَّ على ذلك كتاب الله عَزَّوَجَلَّ فإنَّ ربنا جَلَّ وَعَلَا **يقول**: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: ٣٩]. قال علي بن أبي طالـب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عندما تلا هذه الآية

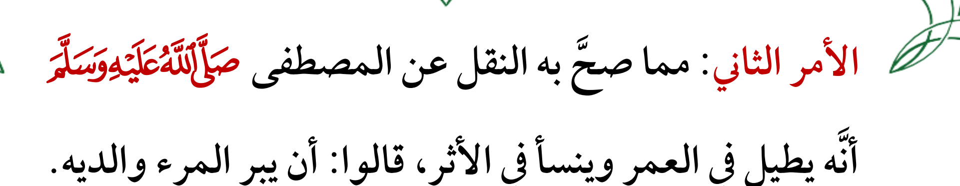
قال: «إنَّ لله عَزَّوَجَلَّ كتابين: فكتابٌ هو عنده أم الكتاب لا يتغير ولا يتبدل وكتابٌ آخر في السماء الدنيا يمحو الله فيه ما يشاء ويثبت يكتب فيه عمراً ثم يزيده أو ينقص منه ويكتب فيه سعادةً لأمرؤ أو شقاءه فيعدله جَلَّ وَعَلَا ويبدله بما شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ» وذلك قوله سبحانه: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾.

قالوا: وفي قول الله عَزَّوَجَلَّ في قصة نوحٍ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [نوح: ٤]، **قالوا**: دليلٌ على أنَّ المرء يؤخر الله عَزَّوَجَلَّ أجله، ويمد فيه وينسأه، والأحاديث الدالة على ذلك كثيرةٌ ومتعددة، وإنَّنا في هذه الليلة سأذكر لكم خمسة عشر عملا، جاء عن النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ بأسانيد صحاح أو مقاربةٌ للصحاح أنَّ من فعلها وأحسن العمل فيها فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يمد في عمره وينسأ له في أثره. نعم قد روي غير ذلك بأحاديث ضعيفةٍ شديدة الضعف أو موضوعة، وإنَّما نكتفي بالصحيح وما قاربه.

فأوَّل هذه الأعمال التي من فعلها فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يمد في عمره، وينسأ له في أثره، ويزيد له في أمده قالوا: تقوى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ

فالمرء إذا اتقى الله جَلَّوَعَلَا وجعل أمر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أمام ناظريه، فما يعمل عملاً إلَّا وهو مراقبٌ له جَلَّوَعَلَا، خائفـًا من عذابه راجيـًا ثوابه فذاك الذي يمد الله عَزَّوَجَلَّ في عمره وينسأ له في أثره، وقد صحَّ في السنن أنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ **قال**: «**مَنْ أَرَادَ أَنْ يُطَالَ لَهُ فِي عُمْرِه وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ وَيُزَاد لَهُ فِي رِزْقِهِ فَلْيَتَقِ الله وَلْيَبُرَّ وَالِدَيْه**». فتقوى الله عَزَّوَجَلَّ سببٌ لذلك واضحٌ وبينٌ أيما وضوح، وقد جاء في قصة نوحٍ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ عندما دعا قومه بالإيمان وأرشدهم في طاعة الرحمن جَلَّوَعَلَا قال لهم: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾ [نوح: ٢ – ٤]. فبيَّن نوحٌ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ أنَّ من عبد الله حق عبادته، واتقاه كمال التقى فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يؤخر أجله ويمد في نسأه ويزيد في عمره إن قدَّره جَلَّوَعَلَا.

۞



الأمر الثاني: مما صحَّ به النقل عن المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه يطيل في العمر وينسأ في الأثر، قالوا: أن يبر المرء والديه.

وما ورد شيءٌ عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أصحُّ إسناداً في طول العمر من برِّ الوالدين حتى لقد روي عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر من خمسة عشر حديثاً مرويةٌ عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تدلُّ على أنَّ برَّ الوالدين سببٌ لطول العمر والمجد فيه ونسأ الأثر، وقد صحَّ عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذه الأحاديث حديث ثوبان أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**». وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**». هذا الحصر ليس على وجهه وإنَّما للتأكيد على أنَّ برَّ الوالدين أعظم سببٍ لطول العمر والزيادة فيه ومده، وقد ثبت من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ **قال**: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَمُدَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي عُمْرِه وَأَنْ يَزِيدَ فِي رِزْقِهِ فَلْيَبُرَّ وَالِدَيْهِ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**» إنَّ المرء إذا برَّ والديه وأمضى وقته في الإحسان إليهم وبذل الجود لهم وخدمتهم وطاعتهم وبذل الجهد بل وغايته في الإحسان إليهم، فإنَّ الله جَلَّ وَعَلَا يخلف عليه وقته أضعافاً مضاعفة، إنَّ من الناس من يستغني دقائق معدودة يجالس فيها والديه، إمَّا أن يمرضهم أو أن يقوم بحاجتهم وربَّما أوكل بهذه الأمور غيره من الناس ظناً منه أنَّ هذا الوقت الذي يبذله مع والديه إنَّما هو ضائعٌ وهو غير محسوبٍ عليه، وما علم ذلك الرجل أو تلك المرأة أنَّ كل دقيقةٍ يجلسها المرء مع والديه برًّا بهما وإحساناً إليهما وتمريضاً لهما وبذل الخدمة في الإحسان إليهما فإنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يبدلها على المرء أضعافاً مضاعفة، ولذلك جاء في الأثر

أنَّ الجزاء من جنس العمل، فمن بذل وقته في برِّ الوالدين بذل الله عَزَّوَجَلَّ له عُمُراً يمد به نسأه ويجعل له في أثره، بل أعظم من ذلك فإنَّ النبيَّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ كما ثبت في السنن رتب على من برَّ بوالديه **ثلاثة أمور**:

- **الأمر الأوَّل**: طول العمر.
- **والأمر الثاني**: الزيادة في الرزق.
- **والأمر الثالث**: النسأ في الأثر.

وقد قيل في النسأ في الأثر إمَّا أنَّه طول العمر وإمَّا أنَّه طيب الذكر حتى إنَّ المرء لا يمر بين الناس فيسمعون له ذكراً حسناً، ويكنون له إعجاباً وتبجيلاً وتوقيرا، وما ذاك إلَّا بسبب برِّه بوالديه، وهذا معنى وينسأ له في أثره. **أي**: يذكر ذكراً حسنا، وقيل في معنى قول النبيِّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَنَّ مَنْ برَّ وَالِدَيْه فَإِنَّهُ يُنْسَأُ لَهُ فِي أَثَرِهِ**» **أي**: أنَّ من برَّ والديه فإنَّه يمد له في عمره في ذريته فيرزقه الله عَزَّوَجَلَّ ذريةً صالحين يذكر بهم بعد وفاته فكم من الناس لا يذكر بعد وفاته إلَّا بذريته ولا يترحم عليه إلَّا عندما يرى أبناؤه من بعده قد أحسنوا، ولذلك فإنَّ النبيَّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ لمَّا سأله رجلٌ عمَّا بقي له من البرِّ بوالديه **قال**: «**أَنْ تَصِلَ رَحِمَهُمَا وَتَصِلَ صَدِيقِهِمَا**» لأنَّ المرء إن وصل رحم والديه وأحسن إلى صديقهما فإنَّهم عندما يرون هذا البرَّ والإحسان من ابن صديقهم وقريبهم دعوا لأبيه وأمه فكان هذا سبباً في برِّه بهم.

إذن: فمن برَّ والديه أخلف الله عَزَّوَجَلَّ عليه الوقت الذي بذله في عمره مدا، وأخلف الله عَزَّوَجَلَّ عليه المال الذي بذله في برِّ والديه زيادةً في رزقه، وأخلف الله عَزَّوَجَلَّ عليه الجهد

الذي بذله طيباً في ذكره ونسأً في أثره وصلاحاً في أبنائه، ولذلك جاء عن بعض السلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى أنَّه قال لمَّا أطال في صلاته وأحسن فيها كان ابنه بجانبه فقال له ابنه: لكأنك قد أطلت صلاتك، فقال له أبوه: إنِّي لأطيل صلاتي لأجلك لأنَّ الأب إن أحسن في عمله أحسن الله عَزَّوَجَلَّ له في ذريته وحفظهم.



الأمر الثالث: ممَّا يطيل الله عَزَّوَجَلَّ به العمر وينسأ به الأثر قالوا:

هي صلة الرحم

فيصل المرء رحمه ويحسن إليهم ويبذل الجهد والوسائل في الإحسان إليهم، وبذل الجود والكرم معهم، وقد قال النبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ وَيُطَالُ لَهُ فِي عُمْرِهِ فَلْيَتَّقِ اللهَ وَلْيَبُرَّ وَالِدَيْهِ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**». ومن أعجب الأثار في ذلك ما جاء عن علي بن أبي طالبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فيما رواه **الدَّينورِيُّ** في «المجالسة» أنَّ عليًّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **قال**: «من ضمن لي واحدةً ضمنت له أربعة: من وصل رحمه طال عمره وأحبه أهله ووسع عليه في رزقه ودخل جنة ربه» فبيَّن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن في صلة الرحم أربع جزاءاتٍ من الله عَزَّوَجَلَّ يثاب عليها المرء، أوَّلها أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يطيل في عمره، وثانيها أنَّه جَلَّوَعَلَا يزيد في رزقه وثالثها أنَّ أهله يحبونه ورابعها أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يدخله جنته.

۞ **وقبل أن ننتقل لما بعدها من المسائل، أود أن أنبه لمسألةٍ مهمة وهي ما هي الرحم التي يجب صلتها والإحسان إليها ويأثم المرء بقطيعتها؟**، فإنَّ المرء ربّما كان منتخبًا لقبيلةٍ أو عشيرةٍ أو عائلة، فهل كل من ينتخب لهذه القبيلة والعشيرة والعائلة يجب الإحسان إليه والبرَّ به أم لا؟، **نقول**: إنَّما تجب صلة الرحم للرحم المحرمة، ومعنى الرحم المحرمة التي لو فرض أنَّ أحد الطرفين فيها ذكر، والآخر أنثى لحرم التزويج على سبيل التأبيد، وذلك فيجب على المرء أن يصل أباه وأجداده، وأمه وجدَّاته وأبناءه وأحفاده وأعمامه وعمَّاته وأخواله وخالاته وأبناء أخيه وأبناء أخواته وبناته فهؤلاء هم الرحم المحرمة التي تجب

صـــلتها، والدليل على أنَّ الذين تجب صـــلتهم إنَّما هم الرحم المحرمة ما ثبت عن النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عند أهل السـنن بإسـناد صـحيح من أنَّه نهى عن زواج المرأة بعمتها أو نكاح المرأة على عمتها وعلى خالتها **قال**: «**إنَّكم إنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ قَطَعْتُمْ أَرْحَامَكُمْ**»، فبيَّن النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ ما بين المرأة وعمتها وخالتها إن كان من قطيعةٍ فهي من قطيعة الرحم، ولم يُحرم الله عَزَّوَجَلَّ ولا رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زواج المرأة على ابنة عمها ممَّا يدلُّ على أنَّ ابنة العم وابن العم ليس من الرحم التي يجب صـــلتها، نعم هي من الرحم التي يجب الإحسان إليها، ويتأكد تأكداً شديداً ولكن التي يجب صلتها إنَّما هي الرحم المحرمة دون غيرها، وإنَّك لتعجب أحيانـاً عندما ترى لرجلٍ عمةً أو عمةً لأبيه أو خالةً لأمه ونحو ذلك، ولا يعرف عنها شيء ولا يسأل عن خبرها ولا ينظر في حاجتها فإنَّ ذلك وأيم الله لهو المغبون، إنَّ أقل ما يُســمَّى صــلةً للمســلم لمن أوجب الله عَزَّوَجَلَّ عليه صــلتهم من الرحم المحرمة أربعة أمورٍ يحسن التنبيه إليها:

- **أوَّل هـذه الأمور الأربعة** أنَّـه يجب ألَّا يكون بينهم قطيعةٌ ولا أذيـة، وقـد جاء للنبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أنَّه **قال**: «**صِلُوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ**»، وفي روايةٍ: «**بُلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّـلَامِ**»، وقد احتجَّ **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى بهذا الحديث واستدلَّ به فيجب على المســلم أن يصــل رحمه ولو بالســلام، فإنَّ الســلام أقل ما يســمَّى صــلة وأدنى درجات الصلة وليس بكمالها.
- **والأمر الثاني**: أنَّه يجب على المرء أن يصــــل رحمه بكف أذاه عنه، وقد صـــحَّ عن المصــطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أنَّه **قال**: «**الإِيمَانُ بِضْــعٌ وَسَــبْعُونَ شُــعْبَةً أَدْنَاهَا إِمَاطَةُ**

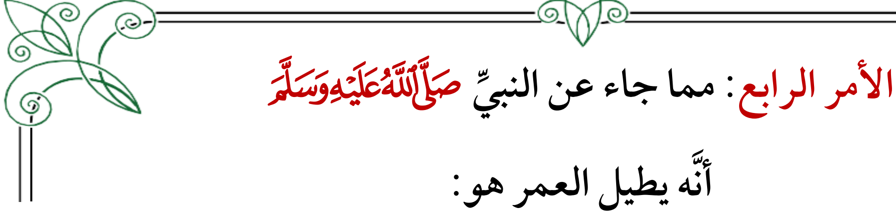
الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ» فكف الأذى عن أخيك المسلم عموماً وعن الرحم التي تجب صلتها بالخصوص هذا من الأمور الواجبة على المسلم التي إن تركها أثم ولا شك.

- **والأمر الثَّالث**: أنَّه يجب لهم عليه النفقة إن كانوا محتاجين، فإنَّ النَّفقة على القرابات إن كانوا محتاجين واجبةً على المرء، فإن كان للمرء أبٌ أو ابنٌ أو أخٌ أو أخت أو عمٌ أو عمَّة محتاجٌ للنفقة فيجب عليه أن ينفق عليه، وأن يحسن إليهم إن كان عَزَّوَجَلَّ قد أوسع عليه، وهذه أيضاً من الصلة الواجبة التي يأثم بتركها، ولذلك قرر غير واحدٍ من أهل العلم من المحققين، وهو قول جمهور الفقهاء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَى أنَّ النفقة واجبةٌ على الأقارب ويعنون بالأقارب من ذكرت لك ضابطه.
- **والأمر الرابع**: في صلة الرحم الواجبة قالوا أن يكون المرء داعياً لقرابته، محسناً إليهم بالاستغفار إليهم، وقد روى التِّرمذيُّ أنَّ أبا ذرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أتى النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله يكون بيني وبين قرابة ما يكون بين القرابات، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**فَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ الِاسْتِغْفَارِ لَهُمْ**» إنَّ المرء إذا دعا لقرابته وأكثر من الاستغفار له والدعاء والابتهال عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يتجاوز عنهم وأن يزيد في رزقهم وأن يبارك لهم في ذريتهم وولدهم فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يزيل ما في النفوس من الضغينة ويبدلها محبةً ووئاماً وألفةً واتفاقا.

ولذلك فإنَّ أقل ما يسمَّى صلةً للرحم أن يأتي المرء بهذه الأمور الأربعة: أن يدعو لهم وأن ينفق عليهم إن كانوا محتاجين وأن يصلهم ولو بالسلام وأن يمنع عنهم الأذى بكلامه

وفعله ونحو ذلك. وأمَّا الزيادة على هذه الأمور فإنَّ الناس فيها يتفاضلون بين مقلٍ ومستكثر، فمن امرء قد بلغ في الوصل منتهاه فلا تكاد تجد له منقصةً ولا تكاد تجد له أمراً يعاب به في برِّ والديه وصلته برحمه، ومن امرء فتح الله عَزَّوَجَلَّ له في بابٍ دون بابٍ وهكذا.

❖



الأمر الرابع: مما جاء عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أنَّه يطيل العمر هو:

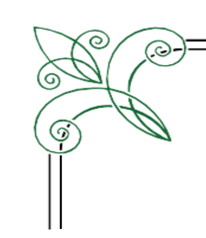
حسن الخلق

وقد ثبت عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في مسند **الإمام أحمد** بإسنادٍ صحيحٍ من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّه -عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- **قال**: «**حُسْنُ الْخُلُقِ يَعْمُرُ الدِّيَار وَيَزِيدُ فِي الْأَعْمَارِ**»، فالمرء إذا حسن خلقه وطاب وجمَّله بتجميل الله عَزَّ وَجَلَّ له فيه، فإنَّ هذا علامة بطول عمره والبسط في أثره، وممَّا قرره النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنَّ الأخلاق على نوعين:

- أخلاقٌ يجبلها الله عَزَّ وَجَلَّ ويفطرها في المرء، فيكون مفطوراً على الأخلاق الحسنة المرضية كما جاء سيد وفد عبد قيس للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فقال له الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ وَرَسُولُهُ الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ**». فقال: أهما أمران فطرني الله عَزَّ وَجَلَّ عليهما أم تطبعت بهما؟ فقال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**بَل فَطَرَكَ الله عَزَّوَجَلَّ عَلَى هَاتَيْنِ الْخَصْلَتَيْنِ**». **فقال**: الحمد لله الذي فطرني على ما يحبه الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وممَّا جاء عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنَّه ذكر أقواماً وثاماً أصحاب بلدانٍ بعينها، أنَّهم أصحاب أخلاقٍ طيِّبةٍ مرضية، فمن ذلك ما جاء في صحيح مسلم أنَّه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ **قال**: «**لَو جِئْتَ أَهْلَ عُمَانَ مَا سَبُّوكَ وَلَا شَتَمُوك**»، **قال النووي** رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «وهذا الحديث دليلٌ على أنَّ أهل تلك البلاد أهل رقةٍ وعدم أذيةٍ للناس وهذه

من الأخلاق التي جبلها الله عَزَّوَجَلَّ على أو أهل بعض البلاد على ذلك الأمر». وعمان في قول النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِوَسَلَّمَ تشمل البلاد المعروفة الآن والإمارات والأحساء من جزيرة العرب، فإنَّ هذه كما **قال النووي** في شرح مسلمٍ: كانت تسمَّى على لسان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِوَسَلَّمَ عمانا.

- **والنوع الثاني**: من الأخلاق التي بيَّنها النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أخلاقٌ يتخلقها المرء ويتجمل بها، ويتأدب بها ويفطر نفسه عليها فطرا، وقد روى **الطبراني** في المعجم بإسنادٍ لا بأس به أنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِوَسَلَّمَ **قال**: «**إِنَّما الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ وَالْحِلْم بِالتَّحَلُّم**». فالمرء إذا رغب التحلم وتأدب بهذا الأدب وقرأ سيرة المتحلمين وجالسهم، وحرص على الاقتداء بهم فإنَّه يرزق هذا الخلق ويكون متحلمـًا كحال المتحلمين، والضد بالضد، فمن جالس الحمقى الذين يغضبون عند أدنى كلمة ويستعجلون في إبداء غضبهم وإظهاره ويُجالسهم ويُعجب بحالهم فإنَّه يسوء خلقه ويكون حاله كحالهم، إنَّ من النَّاس من يظن أنَّه إن أحسن خلقه وطيَّبه وأجاد فيه أنَّه يُغمط من حقه ويظلم، ولذلك بيَّن النبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنَّ من حسُنَ خلقه مد الله عَزَّوَجَلَّ له في عمره ونسأ له فيه ظنـًا أو مخالفةً لظن مَنْ ظن أنَّ في حسن الخلق والأدب مع النَّاس غظاظةٌ على النفس وإنقاص للحق فيها.



الأمر الخامس: ممَّا جاء عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

أنَّه يمد في العمر وينسأ في الأثر قالوا: هو حسن الجوار

وقد صحَّ في الحديث المتقدم الذي رواه الإمام أحمد بإسناد صحيحٍ من حديث عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال من أراد أو أنَّه **قال**: «**صِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْجِوَارِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ يَزِيدَان فِي الْأَعْمَارِ**». فمن أحسن إلى جيرانه وأجاد معهم الخلق وتكرَّم معهم بأطيب المكارم فإنَّ ذلك الذي يمد الله عَزَّ وَجَلَّ في عمره وينسأ في أثره، وإنَّ حسن الجوار للجار وحسن التعامل معه لأمرٌ عجيب، ولكننا نكتفي بأربع أو بثلاث خصالٍ من فعلها فإنَّه هو المحسن ولا شكّ، من هذه الخصال:

- **أن يحرص المرء على أن يصبر على أذى جاره**، فإنَّ الصبر على أذى الجار هو من حسن للجوار، إنَّ من النَّاس من يكافئ جاره، الند بالند والحبة بالحبة ويظن أنَّه في ذلك عادل، نعم هو عادل ولكن ذلك ليس بحسن الجوار، إنَّما حسن الجوار أنَّ جارك إن أخطأ عليك أو أساء إليك قصدا أو من دون قصد أن تصبر عليه ولا تؤذيه، ولذلك جاء عن **الحسن البصري** رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أنَّه **قال**: «حسن الجوار ليس بكف الأذى وإنَّما بالصبر على الأذى». حسن الجوار لا يكون بكف الأذى عن الجار وإنَّما يكون بالصبر على أذاه، ولذلك جاء أنَّ عروة بن الزبير رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أو أخوه المنذر بن

الزبير كما نقل ذلك الزبير بن بكَّار في «جمهرة نسب قريش» أنَّه كان له جارٌ يؤذيه فأراد أن يفتكَّ من أذاه، فاشترى داره بثمن النَّسأ على أن له الخيار في ذلك، فبدأ بجمع ثمن تلك الدار حتَّى إذا صلى مرةً سمع قول الله عَزَّوَجَلَّ في الوصية بالإحسان إلى الجار **فقال**: أسمع وصية الله عَزَّوَجَلَّ، فترك شراء دار جاره وصبر على أذاه فكان ذلك منقبةً له إلى قيام السَّاعة.

إذن: فمن صور حسن الجوار مع الجار الصبر على الأذى دون كف أذاه، فإنَّ هذا من باب أولى واجبٌ حق وهو حقٌّ لكل مسلم.

❖ **ممَّا يكون لحسن الجوار الحرص على الإهداء للجار ولو شيئًا قليلاً**، وقد ثبت عن النبيِّ صلى الله وعليه وسلم في المسند والموَّطأ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال**: «**يَا نِسَاءَ الْمُؤْمِنَات لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ أَنْ تُهْدِيَ لِجَارَتِهَا وَلَوْ كُرَاعًا مِنْ شَاةٍ**». **أي**: لا تحقر المرأة أن تهدي لجارتها ولو شيئًا يسيراً، وهو كراع شاةٍ **أي**: كوارع الشاة المحرَّقة فتهديها لجارتها، وقد جاء عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند التِّرمذيّ وغيره أنَّه **قال**: «**إِذَا طَبَخَ أَحَدُكُم لَحْمًا فَلْيَزِد فِي مَرَقِةِ ثُمَّ لِيُهْدِ لجَارِه فَإِنْ لَمْ يُصِبْ لَحْمًا أَصَابَ مَرَقًا**»، فليكثر المرء من الهدية لجاره فإنَّ في ذلك سببا لدوام المحبة وطول المودة بينه بتوفيق الله عَزَّوَجَلَّ. وإنَّ العجب حقيقة عندما يترك الناس هذا الهدي النبوي عن المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بترك الإهداء بزعم أنَّ الهدية القليلة غير كافيةٍ للجار الغني، وربَّما كان الجار الغني يتأفف ويترفع عن قبول الهدية الصغيرة، وفي ذلك مخالفةٌ لهدي النبيِّ

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما ردَّ هديةً قط، بل إذا أهديت له هديةٌ قبلها، وكافأ عليها بمثلها أو أحسن من ذلك، وكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقبل هدايا جيرانه ويثيب عليها ويقبل أقل الهدايا ولو كانت قضيباً من أراكٍ **أي**: سواك.

المقصود: أنَّ المسلم يحرص على أن يفدي لأخيه المسلم من جيرانه بالخصوص الشيء الكثير وإن قلَّ ثمنه وزهد في قيمته، وليحرص على قبول هدية جاره وألا يترفع عنها ولا يتأفف منها.



الأمر السادس: ممَّا جاء عن النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أنَّه يطيل العمر وينسأ في الأثر قالوا: هو المتابعة بين الحجِّ والعمرة

وقد روى الدار القطني من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ **قال**: «**تَابِعُوا بَيْنَ الحجِّ وَالْعُمْرَة فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَان الخَبَث وَالذُّنُوبَ كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وإِنَّهُمَا يُطِيلَان فِي الْعُمْرِ**». وهذه الزيادة تفرَّد بها سفيان بن عيينة ولأهل العلم كلام فيها.

فالمقصود: أنَّ المتابعة بين الحجِّ والعمرة من الأمور الفاضلة ولا شكّ، وممَّا جاء في الحديث أنَّها تطيل في العمر، وقد صحَّ عن النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فيما رواه ابن حبان من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ **قال**: «**إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قَال: إنَّ عَبْداً أَصْحَحْتُ لَهُ فِي بَدَنِهِ وَوَسَّعْت عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ ثُمَّ تَمُرُّ عَلَيْهِ خَمْسُ سِنِينَ لَا يَفِدُ إِلَيَّ لَمَحْرُومٌ**». فبيَّن الله عَزَّوَجَلَّ في هذا الحديث القدسي العظيم الصحيح سندًا أنَّ المرء إذا مرَّت عليه خمس سنين لا يفد إلى بيت الله عَزَّوَجَلَّ حاجاً أو معتمراً فإنَّه يكون محروما، ووجه حرمانه أنَّ في ذهاب المرء إلى بيت الله عَزَّوَجَلَّ معتمراً أو حاجاً أجورٌ عظام منها أجورٌ في الدنيا، وهو ذهاب الفقر والزيادة في العمر كما جاء في الحديث المتقدم عن عمر عن النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

❖

الأمر السابع: ممَّا جاء عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنَّه يمد في العمر ويزيد فيه قالوا: اسباغ الوضوء

وقد جاء عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حديث أنس أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال له: «**يَا أَنَس أَسْبِغْ الْوُضُوءَ يَطُلْ فِي عُمُرِكَ**»، وهذا الحديث رُوي عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من نحو تسعة طرق وإن كان ابن أبي حاتمٍ نقل عن أبيه أبي حاتم الرازي أنَّ هذه الطرق على تعددها فيها ضعف، إلَّا أنَّ الحافظ ابن حجر أبا الفضل علي بن أحمد بن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى له جزءٌ مخطوطٌ موجودٌ في الظاهرية في تتبع طرق هذا الحديث وكأنَّه يميل إلى تحسينه وتجويد إسناده، فبيَّن النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث إن صحَّ، أنَّ اسباغ الوضوء سببٌ لطول العمر ومده لأنسٍ وغيره من النَّاس، وأنسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مدَّ الله له في عمره حتى قارب مئة سنة، والسبب في ذلك أمورٌ متعددةٌ لعلَّ منها أنَّه امتثل أمر النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإسباغ الوضوء، **والمراد بإسباغ الوضوء**: أن يحرص المرء على أن يتبع سنة النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في الوضوء، فيتوضأ كما توضأ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليس المراد بإسباغ الوضوء كثرة الماء أو الوضوء غير المحوج كما سنتكلم بعد قليل، والدليل على ذلك ما ثبت في الصحيح من حديث حمران مولى عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا ثمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**». فبيَّن النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنَّ الوضوء الكامل هو ما توضأ به -عليه أفضل الصلاة وأتم التَّسليم-، وقد صحَّ في أحاديث متعددة عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه كان

يتوضأ بمدٍ وهو ملء اليدين مجموعتين معًا، ويغتسل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بصاعٍ واحدٍ وهو أربعة أمدد، ولمَّا جاء بعض الصحابة فقال لمحمد بن علي بن الحنفية أو قال لجابر، فلمَّا جاء بعض المتأخرين من التابعين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فسمع هذا الحديث عن النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرويه جابرٌ عن النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال**: إنَّه لا يكفيني مد في الوضوء ولا صاعٌ في الاغتسال، غضب جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **فقال**: لقد كان يكفي من هو أوفر منك شعرا. **يعني**: النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو كمال الامتثال.

فالمقصود: أنَّ اسباغ الوضوء المراد به اتباع سنة النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير زيادةٍ في العدد ولا إسرافٍ في الماء ولا مبالغةٍ فيما لم يؤمر الله عَزَّ وَجَلَّ فيه من مبالغة، وقد جاء في حديث عبد الله بن عبد ربه أنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ **قال**: «**مَنْ زَادَ عَلَى ذَلِكَ -أي: عَلَى ثَلَاثِ غسلاتٍ- فَقَدْ أَسَاءَ**». **أي**: فقد أساء في الوضوء ممَّا يدل على أنَّ المقصود المتابع.

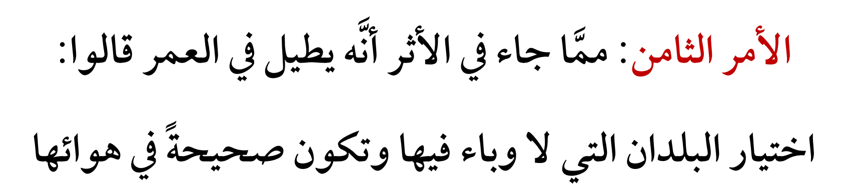
❖ **الأمر الثاني**: في قضية اسباغ الوضوء أنَّ الفقهاء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَى لقد ذكروا وهذا هو ما قرره **الشَّيخ تقي الدين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى أنَّ الوضوء لا يشرع تكراره مرَّةً بعد مرَّة إلَّا أن يفصل بين الوضوأين حدثٌ وهذا واضحٌ وجلي أو عبادةٌ يشرع لمثلها الوضوء. **يعني**: يجب لها الوضوء، فلا يتوضأ المرء ثمَّ يتوضأ بعد عشر دقائق مرَّةً أخرى، فإنَّ هذا على خلاف سنة النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل لا يتوضأ بعد وضوئه الأوَّل إلّا أن يحدث أو أن يأتي بعبادةٍ كصلاةٍ واجبة أو طوافٍ ونحو ذلك ممَّا يشترط له الوضوء وجوبًا.

إذن: هذا هو معنى إسباغ الوضوء الذي يمد الله عَزَّ وَجَلَّ فيه في العمر، ومن عجيب ما مرَّ عليَّ أنِّي قرأت خبراً عن إحصائيةٍ كانت في أوائل الثمانينات من القرن المنصرم **أي**:

ألف وتسعمائة وثمانين في الصين، فذكر هذا الذي ذهب للصين وذكر هذه التراجم أنَّ بعض علماء الاجتماع في تلك البلاد **أعني**: الصين وجدوا أنَّ بعض المقاطعات في الصين، في غربيِّها أنَّ أصحاب تلك البلد قد طال عمرهم طولاً أبين من البلدان الأخرى في الصين، فبحثوا عن هذا السبب ونظروا في حالهم ومعاشهم ونظروا في تصرفاتهم، فإذا بأولئك القوم قومٌ مسلمون، فنظروا في تصرفات المسلمين فلم يجدوا أنَّهم يفعلون شيئًا يخالف غيرهم من المقاطعات الأخرى من الصين إلَّا أنَّهم يتوضؤون، فخرجت هذه الدراسة بنتيجة أنَّ سبب طول عمر هؤلاء أصحاب هذه المقاطعة وهم من المسلمين أنَّهم يغسلون أقدامهم، وهذه الدراسة ذكرها الشَّيخ العبودي في رحلته إلى الصين مترجمةً عن مصدرها.

فالمقصود: من هذا أنَّهم ظنوا أنَّ سبب طول العمر هو غسل القدمين. أقول وقد جاء عن النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أنَّه **قال**: «**يَا أَنَس أَسْبِغْ الْوُضُوءَ يُطُول فِي عُمُرِكَ**».

٭ ◊ ٭



الأمر الثامن: ممَّا جاء في الأثر أنَّه يطيل في العمر قالوا: اختيار البلدان التي لا وباء فيها وتكون صحيحةً في هوائها

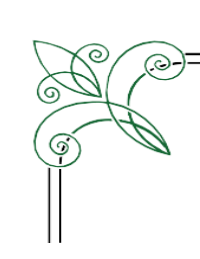
وقد روى الإمام مالكٌ عن **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه **قال**: «لبيتٌ في رُكبة أحب إلي من عشرة أبياتٍ في الشام». قال **الإمام مالك** في الموَّطأ يُريد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما يكون من طول الأعمار والبقاء؛ لأنَّ رُكبة أصحُّ هواءً من الشام، **وركبة هي**: قرية على شقي الطائف تبعد عنها نحو من مائة كيلو، وهي قريةٌ نائية، وقد زرت هذه القرية قبل أكثر من عشر سنين فصليت في مسجدها، فمن غريب الأمر أنِّي وجدت مسجدها ممتلئٌ بكبار السن الطاعنين فيه، فلمَّا سألتهم عن أعمارهم وقد كنت أعرف خبر عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان أغلبهم يجيب بأنَّه قد جاوز الثمانين والتسعين من عمره، ولعلَّ هذا مصداق ما ذكر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رُكبة فإنَّها أصحُّ هواءً وإن كانت في طرف الحجاز بينها وبين نجد وهي مدينةٌ أو قريةٌ صغيرةٌ معروفة.

❊

الأمر التَّاسع: من الأسباب التي جاء عن النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّها تطيل في العمر قالوا: صنائع المعروف والإحسان للنَّاس والجود عليهم بالمال والجاه والوقت والعمل وغير ذلك من الأعمال

وقد جاء عن **علي بن أبي طالب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّه **قال**: «الصدقة على وجهها وبرُّ الوالدين واصطناع المعروف يحوِّل الشقاء سعادةً ويزيد في العمر ويقي مصارع السوء». فمن اصطنع المعروف عند النَّاس وأحسن إليهم وبذل وجهه وجاهه وبذل ماله وبذل وقته وعمله في إغاثة ملهوفٍ ونصرة مكروبٍ فإنَّ هذا من اصطناع المعروف الذي بيَّن النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه يقي مصارع السوء، ففي ذلك سبب بأمر الله عَزَّوَجَلَّ لإطالة العمر والمد فيه.

❖



الأمر العاشر: ممَّا جاء عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه يطيل في العمر قالوا:

الصدقة

وقد صحَّ عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أحاديث كثيرة يشد إسناد بعضها بعضًا فهو حسنٌ بمجموع طرقه أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال**: «**الصَّدَقَة تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ**». وقد سبق معنا عن عليٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه **قال**: «إنَّ الصدقة على وجهها وبرَّ الوالدين واصطناع المعروف يحوِّل الشَّقاء سعادةً ويزيد في العمر». الإكثار من الصدقة وأعني بالصدقة المندوبة دون الواجبة التي لا منة للمرء فيها وهي الزكاة، فإنَّه قد جاء في الحديث أنَّها تمد في العمر وتنسأ فيه وتزيد.

وممَّا جاء في ذلك من القَصص ما روى الطبراني وممَّا نعلمه أنَّ الأخبار التي جاءت عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو أنَّ الأخبار التي نُقلت عن بني إسرائيل بيَّن أهل العلم رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، **بيَّنوا أنَّها على ثلاثة أوجه:**

- فمن الأخبار التي جاءت عن بني إسرائيل ما يجب الجزم بصحته، وهو ما صحَّ عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النقل فيه أو جاء في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ.
- ومن أخبار بني إسرائيل ما لا يجوز روايته ولا نقله ولا تصديقه وهو ما رُوي بإسنادٍ مكذوبٍ أو موضوع.

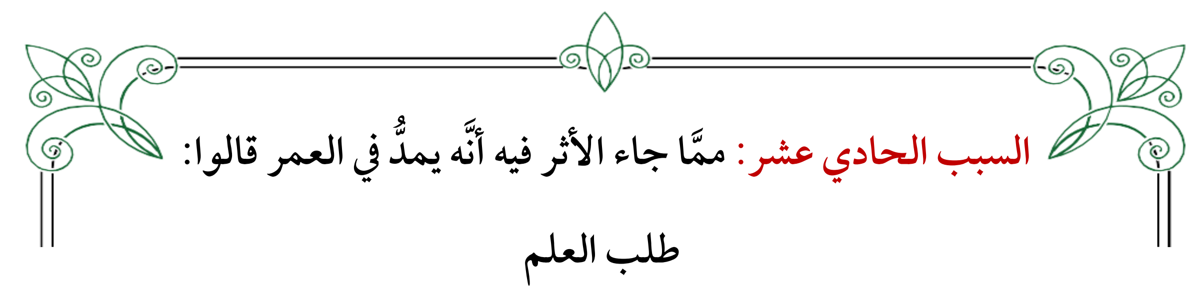
❖ والنوع الثالث من أخبار بني إسـرائيل ما قال عنه النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَلَكِنْ لَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ**» **قالوا**: وهو أحد **أمرين**:

- إمَّا ما جاء عن مسلمة أهل الكتاب كوهب بن منبهٍ وكعب الأحبار وغيرهم وعبد الله بن سلامٍ وغيره -رضي الله عن الجميع-.
- أو ما جاء النقل به لكنه بإسنادٍ ضعيف ضعفًا يسيراً أو منجبراً فإنَّه يكون من أخبار بني إسرائيل.

ومن هذا ما جاء عند الطبراني في قصةٍ كانت في عهد عيسى بن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فإنَّه قيل أو فإنَّه رُوي عند الطبراني أبي سـليمان أنَّ عيسـى بن مريم -عليه وعلى نبيِّنا أفضـل الصـلاة وأتم التسـليم- مرَّ به قومٌ يذهبون ليحتطبوا فقال لهم عيسـى بن مريم: إنَّ أحدكم سـيموت الليلة، فذهبوا في طريقهم محتطبين، فلمَّا جاء العشــاء وهو نهاية اليوم رجعوا مع طريقهم نفسه، فمرُّوا على عيسى بن مريم فنظر إليهم فإذا هم كما هم لم ينقص منهم أحد ولم يمت منهم أحد، فلمَّا جاءوا إلى عيسى بن مريم ناداهم عيسى بن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فإذا معهم حزمة حطب حملها أحدهم على ظهره، فقال له: فكَّ هذه الحزمة، فلمَّا فكَّها فإذا فيها حيَّةٌ سوداء قاتلة فخرجت من بين الحطب تجري منسـلةً نجَّاه الله عَزَّوَجَلَّ منها، فالتفت عيسـى بن مريم لذلك الرجل الذي كان حاملا لحزمة الحطب وفيها الحيَّة ولكنها لم تلدغه، فقال: ما فعلت؟، قال: إنِّي عندما خرجت معك كانت معي فلقة خبزٍ **أي**: قطعة خبز فمرَّ بي ســائلٌ فغمستها في ماءٍ فأعطيته إياها فأكلها، فقال عيسى بن مريم -عليه وعلى نبيِّنا أفضل الصلاة والســلام-: فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قد مدَّ بعمرك بســبب تلك الفلقة **أي**: قطعة الخبز، وهذا الخبر

مصداق ما جاء عن النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ: «**أنَّ الصدقة تقي مصارع السوء**» أو ما جاء عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أنَّ الصدقة تزيد في العمر.

ﮋ ◊ ﮊ



السبب الحادي عشر: ممَّا جاء الأثر فيه أنَّه يمدُّ في العمر قالوا:

طلب العلم

فإنَّ المرء إذا طلب العلم وخصوصـاً طلب علم الحديث فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يمدُّ في عمره، والسـبب في ذلك أنَّ هذا العلم أنَّ هذا الدين جعله الله عَزَّوَجَلَّ من خصـائصـه أنَّ العلم بهذا الدين **أعني**: الإسلام، جعل الله عَزَّوَجَلَّ من خصائصه أنَّه ينقله الأصاغر عن الأكابر، ولذلك جاء في مقدمة مسـلمٍ عن **عبد الله بن مبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى أنَّه **قال**: «الإسـناد من الدين فإن قيل عمَّا بقي» فهذا العلم ينقله من كل عصرٍ عدوله ينقلونه عن أشياخهم وأشياخهم ينقلونه عن أشـياخهم وهكذا، ولذلك قال النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نظَّر الله امرأً سَـمِعَ مَقَالَتِي فأدَّاها كَمَا سَـمِعَهَا فَرُبَّ مُبَلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَـامِعٍ**»، ولذلك يقول محمَّد بن عبد الله الأودي المتوفى سـنة ثلاثمائةٍ وخمسـين من الهجرة: «سـمعت شـيوخنا يقولون: دليل طول عمر الرجل اشـتغاله بأحاديث الرسـول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». وأنت لا تعجب بعد ذلك عندما ترى كثيراً من علماء الحديث كأبي طاهرٍ السِّـلفي وغيره قد جاوز عمرهم عشـراتٍ طوالٍ من العمر فلعلَّ ذلك من بركة العلم الذي حوته صـدورهم إذ الله عَزَّوَجَلَّ يحفظ الصـدور التي حوت العلم، وقد جاء عن **عكرمة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال**: «إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قد تأذَّن ألَّا يخرف عقل امرئٍ حوى القرآن في قلبه». فمن حوى القرآن في قلبه حفظاً وفهماً واستنباطاً وعملاً قبل ذلك فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يحفظه من الخرف ويحفظه ويمدُّ في عمره لينقل هذا العلم لمن بعده.

❧ ◊ ❧

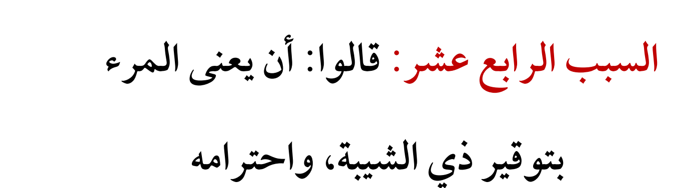


السبب الثاني عشر: من أسباب طول العمر والمدِّ فيه قالوا:

العدل لمن وُلِّي ولاية

فمن وُلِّي ولايةً على غيره ولو كانت صغيرةً فكان مسؤولاً عن أقوامٍ فعدل بينهم، وأحسن النظر فيهم فأعطى كل ذي حقٍ حقه، ولم يظلم أحدا أو ينقصه حقه أو ينقصه منه شيئًا فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يخلفه مدًّا في عمره، وقد رُوي في ذلك حديث عن النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ، ورُوي في ذلك خبر رواه الخطيب البغدادي وابن الجوزي بإسنادٍ فيه مقال أنَّ ملكين أخوين كانا في عهد بني إسرائيل، وكان كل واحدٍ من هذين الملكين في قريةٍ دون القرية الأخرى، فأمَّا أول الملكين فإنَّه كان رجلاً عادلا، واصلاً لرحمه، وأمَّا الثاني فإنَّه كان رجلاً ظالمًا، قاطعًا لرحمه، وإن الله عَزَّوَجَلَّ أوحى لنبيٍّ من أنبياءٍ الله عَزَّوَجَلَّ كان مُدركًا لهذين الملكين أنَّ الملك الأوَّل العادل الواصل لرحمه إنَّما بقي من عمره ثلاث سنين، وأنَّ الملك الثاني الذي هو ظالمٌ قاطعٌ لرحمه بقي من عمره ثلاثون سنة، فأخبر ذلك النبيُّ أهل هاتين القريتين بذلك فضجوا إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالدعاء، وخرجوا هم وأهلوهم إلى الفيافي يدعون الله عَزَّوَجَلَّ، فلمَّا جاء نهاية النهار أوحى الله عَزَّوَجَلَّ لذلك النبيِّ أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قد مدَّ في عمر العادل فصار ثلاثين وأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قد قصر من عمر الظالم فصار ثلاثًا، فهذا من أثر العدل فإن صحَّ الحديث في ذلك والشواهد تدلُّ لمعناه فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يمدُّ في عمر العادل.

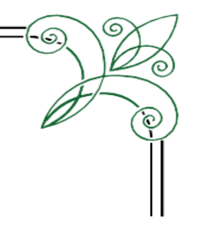
٭٭٭



السبب الرابع عشر: قالوا: أن يعنى المرء بتوقير ذي الشيبة، واحترامه

فإنَّ في توقير الشـيبة سـبب بأمر الله عَزَّوَجَلَّ لمد العمر، وقد جاء عند التِّرمذيّ بإسـنادٍ حسـن أنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال: «مَا وَقَرَّ شَـابٌ شَـيْخًا إِلَّا قَيَّضَ اللهُ لَهُ فِي سِـنِّهِ مَنْ يُوَقِّرُه» قال الشَّـيخ **موسى الحجاوي** رَحِمَهُٱللَّهُ تَعَالَى في شـرح «منظومة الآداب»: «وفي هذا دليل على أنَّ من وقر ذوي الشـيبة في أوَّل أمره فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ سـيمدُّ في عمره حتى يكون مثلهم»، لأنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **قال**: «إِلَّا قَيَّضَ اللهُ لَهُ فِي سِـنِّهِ» **أي**: سـيكون كبيراً في سـنه فيُقيِّض له من يوقر في عمره، **قال بعض أهل العلم**: وإنَّ من أعظم من يوقَّر من ذوي الشـيبة الوالدان وأهل العلم، فمن وقَّر والديه وعني باحترامهما وبرُّهما والإحسـان إليهما وتوقير شـيبتهما فإنَّ هذا يكون سـبباً في مدِّ عمره، وكذا أهل العلم فيكون هذا الحديث داخلٌ في السببين السابقين الذي سبق ذكرهما.

❀◊❀

السبب الأخير: قالوا: الدعاء

فإنَّ المرء إذا دعا الله عَزَّوَجَلَّ فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يجيب دعاءه، فلذلك يقول النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما صحَّ عنه: «**وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ**». والمراد بالقدر **أي**: القدر المكتوب في لوح السماء الدنيا الذي يمح الله عَزَّوَجَلَّ فيه ما يشاء ويثبت، فإنَّ المرء إذا دعا الله عَزَّوَجَلَّ بالشفاء من المرض، والمدِّ في العمر فإنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يجيب الدعاء، وقد دعا النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لأنس بن مالكٍ بأن يطيل الله في عمره، فإنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان ماراً مرَّةً فجاءت أم سليمٍ، أم أنس فأخذت بثوب النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقالت: يا رسول الله أُنَيْسٌ خويدمك، تقصد أنس بن مالك لأنَّها أمه قالت: أُنَيْسٌ خويدمك يا رسول الله فادعو الله له، فمدَّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يديه **وقال**: «**اللَّهُمَّ مُدَّ فِي عُمُرِهِ وَزِدْ فِي وَلَدِهِ**» قال أنسٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فدعا لي النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بثلاث دعواتٍ رأيت اثنتين منهما **يعني**: طول العمر وكثرة الولد، قال: حتى إنَّه ليُثمر لي النخل مرتين في السنة، وإنِّي عددت من ولدي نحواً من مئةٍ **أي**: من ولده، وولد ولده نحواً من مئة، وأمَّا عمره فإنَّه قد كان من آخر الصحابة -رضوان الله عليهم- وفاةً في الكوفة ومن بعد ذلك، **قال بعض أهل العلم**: وممَّا يدلُّ على أنَّ الدعاء مشروعٌ بطول العمر ما رُوِّينا والحديث فيه ضعف عند أبي نعيمٍ في «الحلية» أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ _ والحديث فيه ضعفٌ شديد_ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال كان يدعو إذا دخل عليه رجب: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي رَجَبٍ وَشَعْبَانَ**

وَبَلِّغنَا رَمَضَان». **قالوا**: وفي هذا دليلٌ على أنَّ المرء يستحب له أن يدعو الله عَزَّوَجَلَّ بأنَّ يبلِّغه الأوقات الفاضلة كرمضان وذي الحجّة، ولكن هذا الحديث فيه ضعف شديد فلا يصحُّ الاستدلال به، وقد جاء عن سفيان بن سعيدٍ الثوري أنَّه قال: إنِّي لأستحي من الله عَزَّوَجَلَّ فإنِّي ما وقفت في هذا المقام -**يعني**: في عرفة- إلَّا سألت الله عَزَّوَجَلَّ أن يمدَّ في عمري حتى أدركه في السنة القادمة، وإنِّي أستحي من الله عَزَّوَجَلَّ أن أسأله في هذه السنة، فقُبِض رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ورحمه في تلك السنة، ولأهل العلم كلامٌ طويل في هل يشرع أن يدعو المرء لغيره من الناس بطول العمر؟ فيقول: أطال الله بقاءك وأطال عمرك ونحو ذلك، وممَّا أطال التَّفصيل فيها العلَّامة محمد بن مفلحٍ رَحِمَهُٱللَّهُ تَعَالَى في «الآداب الشرعية»، ولعلَّ في ذلك دليلاً من فعل النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وحاله أنَّه يشرع الدعاء ولكن الأفضل أن يقيَّد بالطاعة، فيقال للمرء: أطال الله عمرك على الطاعة أو على الإحسان أو على البرّ ونحو ذلك.

أمرٌ أخيرٌ قبل أن أختم: أنَّه قد جاء في بعض الكتب بإسنادٍ صحيح أنَّ الأصمعي رَحِمَهُٱللَّهُ تَعَالَى رأى رجلاً في البادية أعرابياً قال فسألته: كم عمرك؟ فقال: عمري مئةٌ وعشرون سنة. فقال الأصمعي عبد الملك بن قريض: ما سبب طول عمرك؟، قال: تركت الغلَّ **أي**: الحسد، تركت الغلَّ فبقي. إنَّ المرء إذا سلم صدره لإخوانه وكان طاهراً نحوهم فإنَّ هذا سببٌ بتوفيق الله عَزَّوَجَلَّ لإثابته في الدنيا والآخرة، ولعلَّ ممَّا يثاب عليه في الدنيا أن يمدَّ الله في عمره لكن لم يرد في ذلك حديث وإنَّما هو خبرٌ رُوي عن الأصمعي عن بعض الأعراب، ولكن رُوي.

هذا على سبيل الإيجاز من دون إخلال، ذكر ما جاء عن النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بإسنادٍ

صحيحٍ أو مقارب، مما يطيل في العمر وهي أربعة عشر أمرًا أو خمسة عشر أمر صح بها النقل عن النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يمنَّ علينا جميعًا بالهدى والتُّقى، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يتولانا بهداه، وأن يغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات، وأسأله جَلَّ وَعَلَا أن يغفر لنا ولوالدينا، وأن يجزيهم خير ما جزى والداً عن ولده، وأن يغفر لهم خطأهم في حقه جَلَّ وَعَلَا، وأن يغفر لنا خطأنا في حقهم، وأسأله جَلَّ وَعَلَا أن يغفر لموتانا وموتى المسلمين، وأسأله جَلَّ وَعَلَا أن يغفر لموتى المسلمين في كل مكان وللحاضرين خاصة.

فقد ذكر الإخوة أنَّ والدة حاكم الشارقة الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي توفيت عليها رحمة الله عَزَّوَجَلَّ فأسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يغفر لها، وأن يرحمها، وأن يتجاوز عنَّا وعنها، وأن يغفر لها ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات، وأسأله جَلَّ وَعَلَا أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الأسئلة:

السؤال: أحسن الله إليكم فضيلة الشَّيخ وبارك الله فيكم، فضيلة الشَّيخ وردنا سؤال من أحد الأخوات تسأل وتطلب رأيكم في مسألة كلَّما تقدَّم لها خاطب ترفضه، بحجة أنَّها عندما تستخير ترى أحلامًا مفزعة وكوابيس، وتقول هذا دليلٌ على أنَّ هذا الخاطب لا يصلح لي مع العلم فضيلة الشَّيخ أنَّ الخطَّاب الذين تقدَّموا لها ممن يُشهد لهم بحسن الخلق والدين. فنرجو التوضيح بارك الله فيكم.

الجواب: نعم، الحديث في هذا الموضوع ذو ثلاث شعبٍ وثلاثة مناحي:

- **المنحى الأوَّل**: أنَّ الشيطان من أحب ما يكون إليه أن يكون المرء أعزبًا غير متزوج، وذلك أنَّ الشيطان يبسط عرشه فيأتيه جنوده، فيأتيه أحدهم فيقول: ما زلت بفلانٍ حتى فعل كذا وكذا، فقال: ما فعلت شيئًا يكاد أن يستغفر فيتوب. ثمَّ يأتيه الآخر فيقول مثل ذلك ثمَّ يأتيه الثالث فيقول: ما زلت بفلانٍ حتَّى فارق زوجته، فيقول: أنت أنت فيدنيه ويجلسه بجانبه. إنَّ الشرع قد أمر وحثَّ حثًا أكيداً على أن يُعنى المرء بالزواج رجلاً كان أو امرأة، فقد صحَّ عن النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّه أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْفَظُ لِلْفَرَج**». وقال النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوه إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ**». فبيَّن النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أنَّ الزواج مقصدٌ شرعيّ مرغبٌ إليه، مقصودٌ من مقاصد الشريعة الخمسة وهي: حفظ النفس والنسل الذي

جاء الشـــرع بحفظه ومراعاته والتأكيد عليه، والمرأة إذا جاءها كفؤها في حاله وفي دينه فإنَّ قَبولها به متأكدٌ عليها ولا شكَّ. هذا الأمر الأوَّل.

- **الأمر الثاني**: ما يتعلَّق بقضية الاستخارة، إنَّ كثيراً من النَّاس إذا استخار الله عَزَّوَجَلَّ ظنَّ أنَّ الفائدة من الاستخارة هي أنَّه سيأتيه منامٌ في ليله فينبهه إلى الصواب من الأمرين أو أنَّه يفتح كتابًا أو مصحفًا فينظر فيه فيرى فيه الدليل لما اختار، أو أن يأتيه سامعٌ فيقول له افعل كذا أو لا تفعل كذا، والحقيقة أنَّه لا شيء من ذلك البتة، قال ابن السبكي: قال شيخنا ابن الزملكاني: «إنَّ بعض الناس يظن أنه إذا استخار الله عَزَّوَجَلَّ فسوف تأتيه رؤيا تدلُّه أو يأتيه صـــارخٌ ومنبهٌ فينبهه وليس الأمر كذلك». وتأمَّل يا رعاك الله في حديث النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في الاســتخارة، ففي صــحيح البُخَارِيّ من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كان يعلِّمهم الاســتخارة كما يعلِّمهم الســـورة من القرآن، قال: «**إِذَا همَّ أَحَدُكُم بِأَمْرٍ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيرِ الْفَرِيضَـةِ ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْـتَخِيرُك بِعِلْمِك وَأَسْـتَقْدِرُك بِقُدْرَتِك وَأَسْـأَلُك مِنْ فَضْـلِك الْعَظِيمِ فإِنَّك تَعْلَم وَلَا أَعْلَمُ وَتَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ وَأَنْت علَّام الْغُيُوب، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْت تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خيرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ: عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ فَاكْتُبْه لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ**» فالمرء يدعو الله عَزَّوَجَلَّ إن كان في الأمر خيرةً له أن يكتبه الله عَزَّوَجَلَّ له، وأن ييسره له ثمَّ يبارك له فيه، يسأل الله عَزَّوَجَلَّ ثلاثة أمور، لم يقل المرء في دعائه اللهم إن كان هذا الأمر خيراً فأرني في منامي رؤيا أو أظهر لي صـــارخـًا أو كلمةً تدلُّني على

الإقدام أو الإحجام، فليس الأمر كذلك البتة، وإنّما يقدم على أمره، ولذلك جاء في حديث في آخره «**ثُمَّ لِيَمْضِي بِشَأْنِه**»، فيمضي المرء في شأنه، فإن جاء عائقٌ فعاق، ولو كانت النفس مرتاحة للإقدام عليه فالخيرة في العدم، وإن كانت النفس منقبضةً وقد استخار المرء الله عَزَّوَجَلَّ مرّات لأنَّ الاستخارة دعاء، والدعاء يشرع تكراره، وقد استخار المرء الله عَزَّوَجَلَّ مرَّاتٍ فاستجيب دعاؤه فأقدم، وكانت نفسه محجمة فتحقق هذا الأمر فالخيرة فيه، لأنَّك سألت الله عَزَّوَجَلَّ ماذا؟ ليس راحة نفسك، ولم تسأل الله عَزَّوَجَلَّ الرؤيا وإنَّما سألته أن يكتبه لك. **أي**: فيما يمحوه الله عَزَّوَجَلَّ ويثبته وهو الذي تأخذ منه الملائكة فتكتبه للآدمي.

إذن: فما كتبه الله عَزَّوَجَلَّ أن يجيب دعاؤك هو الذي سيكون. فامض لشأنك ولا تلتفت لخاطرٍ ولا لغيره. هذا الأمر الثاني.

- **الأمر الثالث**: أنَّ بعض النَّاس يتعلَّق بالرؤى ويتعلَّق بالأحلام ويظن أنَّها حقائق وليس الأمر كذلك، فإنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ **قال**: «**أَصْدَقُكُم رُؤْيَا أَصْدَقُكُم حَدِيثًا**». **إذن**: المرء إذا كان لسانه صادقًا كانت رؤياه صادقة، وإن كان لسانه كاذبًا كانت رؤياه كلُّها كاذبة لا حجَّة لها ولا تفسير لها. **إذن**: الصادق هو الذي تكون رؤياه صادقة. انظر، ثمَّ نأتي لهذا الصادق قال النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَمْ يَبْقَ مِنَ النبوّة إلَّا الْمُبَشِّرَاتُ وَهِي جُزْءٌ مِنْ بِضْعٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءاً مِنَ النُبُوَّة**» جزءٌ من جزءٍ من بضعٍ وأربعين جزءاً من النبوّة. **إذن**: في واحدٍ من تفسيرات معنى هذا الحديث أنَّه في

كل أربعين رؤيا واحدةٌ منها صــحيحة، وهذا الذي جاء عن محمد بن ســيرين، فإنَّ محمد بن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى كما نقل عنه ابن قتيبة بإسنادٍ صحيح في كتابه «تعبير الرؤى» أنَّه كان يسأل عن أربعين رؤية، فلا يجيب، يقول: لا تفسير لها ويجيب عن واحدة، وبعض النَّاس يظنُّ أنَّ كلَّ رؤية لها تفســير وكلَّ رؤية لها خبر وســر فيها، وكذلك ممَّا جاء عن أو ما صــحَّ النقل فيه عن النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنَّه بيَّن أنَّ الرؤى على ثلاثة أنواع:

١) فمنهـا رؤىً تكون من الشــيطـان وتلاعبه، وذلـك كحـال الرجـل الـذي جـاء للنبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فقـال: يـا رســول الله رأيـت أنَّ رأســي يمشــي أمـامي، فقـال لـه النبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**لَا تُخْبِرْ بِهَا أَحَداً لَا تُخْبِرْ بِتَلَاعُب الشَّـيْطَانِ بكَ**». فالشـيطان يأتي للمرء فيتلاعب به وخاصــةً إن أكل كثيراً في تلك الليلة أو كان قد بذل جهده ونحو ذلك فربَّما رأى من هذا التلاعب الذي يكون من الشيطان.

٢) **والنوع الثاني**: هي حديث المرء نفســه، فإنَّ المرء إذا فكَّر في أمرٍ وأطال من التفكير فيه فإنَّه يرى فيه رؤيا، وممَّا يســتطرف في ذلك ما نقله ابن الجوزي في كتاب «الأذكياء» أنَّ رجلاً كان يخلع أســنان النَّاس ويقول لهم: إني إذا خلعت ســنك لا تحس بألم البتة، ولكن كان يقول لهم من شــرط عدم إحســاســك بالألم ألا تفكر في القرد ولا تُحلِّم فيه، فإذا قال له لا تفكِّر في هذا القرد، بدأ يفكر فيه يومه كلَّه فحلَّم فيه في منامه، فالمرء إن كان يفكِّر في شـيءٍ في يومه كلَّه فسيرى فيه منامًا، ومن أكثر القرارات أثراً في المرء رجلاً

كان أو امرأة قرار الزواج؛ لأنَّها من القرارات المصــيرية التي ربَّما لا تكون إلَّا مرَّةً في العمر لغالب النَّاس، فتجد الرجل أو المرأة يفكِّر في هذا الموضــوع يومه كلّه، مع كثرة تفكيره فيه ربَّما رأت المرأة المتقدم لها في منامها فيكون ذلك من حديث النفس وليس من رؤى الرحمن.

٣) **والنوع الثـالـث**: من الرؤى مـا كـان من الرحمن جَلَّ وَعَلَا، وهي المبشــرات والنبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ســمَّاها مبشـرة، ولا تكون يعني فيها شـؤم، ولا يكون فيها إخبارٌ عن أمرٍ ماضٍ البتة، وإنّما تكون مبشـــرة، وهي التي تكون من الرحمن جَلَّ وَعَلَا، وأمَّا التي تكون من الأمر السابق فهي التي من حديث النفس قد يستنبط منها ذوو الفراسة والفطنة شيئًا من أخبار الرجل وما يفكِّر فيه.

فالمقصـود: أنَّ ما كان من الله عَزَّ وَجَلَّ إنَّما هي المبشرة التي فيها التبشير، فأنا أقول لهذه الأخت الكريمة إنَّ ما فعلت فيه خطأٌ ولا شـــكّ، فأولاً هو خطأٌ من حيث الاســتخارة لم تعلمي ما المقصــود منها، وخطأٌ لأنَّك ســلمت هواك للرؤى، وليس الأمر كذلك بل كليه إلى علم الله عَزَّ وَجَلَّ وظواهر الأمور، والأمر الثـالـث أنَّـك أخطـأت في مخـالفـة هـدي النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بردِّ الكفء الذي تقدَّم لك، أســأل الله عَزَّ وَجَلَّ لهذه المرأة ولبناتنا ولأخواتنا من المسلمين والمسلمات الستر في الدنيا والآخرة.

